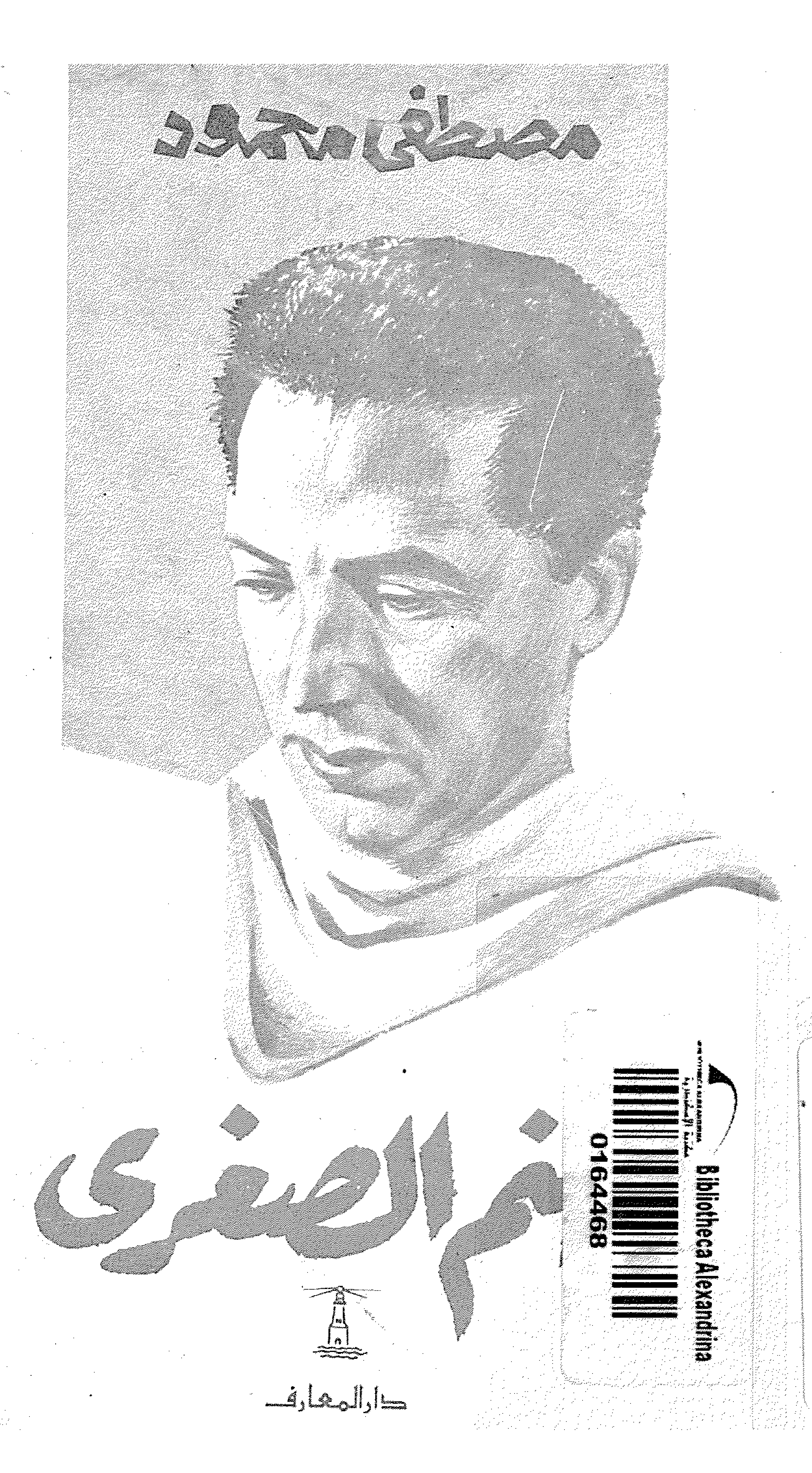

مصطفى محمود
م الصغرى
دار المعارف

مصطفى محمود

جهنم الصغرى

مسرحية من فصلين

الطبعة السادسة



دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

زواج يخلو من المودة والرحمة
هو جهنم الصغرى على الأرض

شخصيات المسرحية

المقاول أحمد الشهاوى	٤٥ سنة صاحب شركة مقاولات – مليونير .
الشريك (مدكور)	٤٠ سنة .
الصديق (فؤاد)	٤٠ سنة رجل أنيق يهتم كثيرًا بهندامه .
الزوجة (نعمت)	٣٥ سنة امرأة جميلة ذات أنوثة فياضة .
الابن (رؤوف)	١٨ سنة .
الابنة (دينا)	١٩ سنة .
خطيب الابنة (سامح)	٢٥ سنة شاب من جيل الديسكو .
المستشار القانونى (الأستاذ مطر)	٥٠ سنة .
عازفة الأورج (جانيت)	٣٥ سنة امرأة رقيقة مرهفة فتانة جنى أطراف أناملها .

الفصل الأول

المشهد الأول

منزل المقاول المليونير أحمد الشهاوى – فى ليلة عيد ميلاده الـ ٤٥ .
قاعة الاستقبال الفخمة تسبح فى أضواء النجف الكريستال .
موائد عليها تورتات وشموع .. جمع من العائلة والأصدقاء .. جميع شخصيات المسرحية بين جلوس أو وقوف .. تصفيق .. ضحك .. تهريج .. قبلات على خد أحمد الشهاوى من الأبناء والأصدقاء .. أيدى تمتد إلى التوست والكئوس .. البعض يأكل .. البعض يشرب .. موسيقى .. عزف على الأورج من العازفة جانيت .

أحمد : هايل يا جانيت . . ايه الفن ده كله .

دينا : (تقبل أباها) مبروك يابابى عقبال كل سنة .

رؤوف : (يقبل يد أبيه وخده) مبروك يابابا عقبال ميت سنة

مدكور : خليهم ألف عشان خاطرى

فؤاد : ربنا قادر يخليهم ألف .

د. توفيق : وحصل فعلاً . . أيام نوح كانت الناس بتعيش بالألف سنة .

أحمد : متشكر قوى على مهلكم يا جماعة . . انتو بتدعو لى والا بتدعو على .

مدكور : بندعى للبلد يا أحمد بك . . ده كل يوم زيادة فى عمرك معناها مكسب للبلد . . معناها تعمير وإنشاء وكبارى وطرق وعمارات سكنية ومشاريع أمن غذائى . . أنت ثروة وطنية يا أحمد بك . . ثروة وطنية .

أحمد : الله يخليك (يأكل قطعة تورته).

فؤاد : (لأحمد) ما تنزلش على التورتة كده يا أخى . . إيه الطفاسة دى . . إنت ناسى أوامر الدكتور .

د. توفيق : خليه يخبص له يوم .

أحمد : الحمد لله إن خبصنا جه فى التورتة بس . . أحسن من خبص بعضهم

مدكور : بعضهم دول مين بقى يا أحمد بك .

أحمد : اللى عارفين نفسهم والعارف لا يعرف .

مدكور : إيه دى . . ألغاز دى والّا إيه . .

(دينا ورؤوف وبعض الحاضرين يطفئون الشموع) .

(غناء جماعى لعيد الميلاد «سنة حلوة يا جميل» تصاحبه الموسيقى مقطوعة موسيقية مرحة على الأورج من العازفة جانيت . . نراها تعزف وهى ترقص من الانفعال نرى دينا هى الأخرى تندمج وترقص يصاحبها سامح خطيبها) .

(دينا وخطيبها يقدمان نمرة رقص بديعة . . تصفيق وتهليل من الحاضرين) .

(أحمد يرقص مع زوجته . . ولكن كل منهما يرقص وحده . . وكأنه يهوم فى عالمه الخاص به) .

فؤاد : (للدكتور توفيق) إيه واحنا حانقعد كده نقاد والّا إيه . . ماتيلّا . . بينا نرقص . . قوم يا أستاذ مطر .

الأستاذ مطر: لا يا سيدى أنا متعهد الحفلة .

(أحمد يذهب إلى التورتة بعيداً فى آخر المائدة) .

(نعمت تهالك جالسة إلى جوار فؤاد) .

(الاثنان يتحادثان فى همس) .

فؤاد : إيه مالك .

نعمت : تعبت .

فؤاد : مش زى عوايدك فيه حاجة مضايقاكى .

نعمت : كل حاجة مضايقانى . . حاسة إن كل شيء مش طبيعى . . تصور إنى عاوزة أعيط (تغطى وجهها وتلتفت بعيدًا) .

فؤاد : (يمسك يدها فى رقة) .

(أصوات ضحك فى كل مكان تغرق الحوار الهامس) .

أحمد : (بصوت مرتفع من طرف المائدة) فى الهند وباء وفى اليابان زلازل وفى الصين أعاصير وفى اليمن جفاف والزرع بيموت م العطش . . وفى السودان سيول والزرع بيموت م الشرب . . وفى الصومال مجاعة والكل بيموت م الجوع . . . واحنا هنا فى الأوده دى بنشرب عشر أنواع ميه غازية ومعدنية وكحولية . . وعشر أنواع جبن ولحم وفراخ وسمك وعشر أنواع جاتوه وتورتة وسندوتش وتوست . . وناكل لقمة ونرمى عشرة .

د. توفيق : ما تزعلش يا أحمد بك . . إحنا كمان حانموت

بالتخمة زى الزرع ما بيموت م الشرب . . الحال
من بعضه .

أحمد : وفى أمريكا بيرموا القمح فى البحر عشان يرفعوا
سعره .
وفى العراق وإيران بيفجروا خزانات البترول موارد
ثروتهم الوحيدة .
وفى الشرق والغرب بيصرفوا المليارات على السلاح
ويشتكوا م الفقر ده يبقى اسمه ايه .

فؤاد : يبقى اسمه الجنون . . الرجاله مجانين .

أحمد : والستات أكتر . مصانع الروج والكريمات والبدرة
والمانيكير ميزانيتها أكبر من ميزانية جميع رحلات
الفضا .

فؤاد : ما هم بيطلعونا فى الفضا فعلا .

مذكور : لمنطقة انعدام الوزن وحياتك (ضحك) .

أحمد : أيوه . . انعدام الوزن وانعدام العقل . . وانعدام
الأخلاق . . وانعدام الضمير . . إخوانى . . أنا أعلن
أنى اليوم فى عيد ميلادى الخامس والأربعين رجل

مجنون . . أنا المقاول الناجح المليونير رجل مجنون
عايش فى عالم مجنون منحط سافل . . وأنا كمان
راجل منحط سافل . . وانتو ناس سفلة . .
كلكم . . كلكم سفلة . . أوغاد . . مجرمين .

مدكور : إيه ده . . إيه ده .

د. توفيق : إيه ده يا أحمد بك . . إنت شربت والّا إيه . .
إنت سكرت

أحمد : أنا فقت . . أنا صحيت . . فتحت .

توفيق : (هامسًا لنعمت) دى أعراض تصلب شرايين . . أنا
قلت له ألف مرة ما ياكلش كتير .

فؤاد : (فى سخرية) بعد ماكلت وشبعت بتقول الكلام
ده . . زى عوايدك يا أحمد دايمًا بتفوق بعد فوات
الأوان .

أحمد : صحيح . . لكن أحسن من اللى ياكلْ ويشبع
وينام . . أحسن من اللى يسوق فى الغلط
ولا يفوقش . . أحسن من اللى بينام وينوم كل
الناس . . ويتخدر ويخدر كل الناس .

فؤاد : إيه إنت ناوى تخطب فى الجامع اللى جنبنا والّا إيه

أحمد : لا . . أنا ناوى أخطب فى جامع نفسى الأول ، ناوى أقف على منبر حياتى الخربانة وأزعق فى ودانى أنا . . وأندب نجاحى اللى كان عين الفشل وصعودى اللى كان عين السقوط ، سيداتى وسادتى . . أنا أعترف أنى بهيم . . كنت دايمًا بهيم . . وانتم كمان كلكم بهايم . . مواشى . . بقر.

فؤاد : الله يكرمك .

أحمد : (يصرخ) إحنا مزرعة عجول نموذجية بقر فريزيان لكن ما بيجبش لبن . . وإنما بيجيب سم . . سم زى اللى بيتعمل منه صناديق النستو الفاسدة .

رؤوف : إيه يابابى .

دينا : إيه يابابى مالك .

فؤاد : بابى بيحب يجدد يادينا . . بابى دايمًا أوريجينال فى كل حاجة .

نعمت : فعلا عيد ميلاد أوريجينال .

فؤاد : صحيح . . القعدة كانت حاتبقى مملة أوى . . أنت

عملت Succé برافو يا أحمد . . أنت راجل جو .

مدكور : يا إخواننا عاوزين حد يسجل الكلام ده .

د. توفيق : دى حفلة تتذاع على الهوا زى ما هى .

أحمد : (يتهالك على كرسيه) عجيبة يا إخواننا . . الكلام الجد بيبقى يضحك . . والكلام الهلس هو اللى الناس بياخدوه جد ويعملوه دستور حياتهم . . بقول لكم إيه . . تيجى نتكلم فى الكورة . . تيجى نخمس . . تيجى نلعب كارت . . تعرفوا يا جماعة أنا قررت أدخل مستشفى المجاذيب بكره . . يمكن ألاقى هناك حد يفهمنى .

دينا : بابى إيه الكلام ده . . إنت بتخوفنى .

أحمد : ما تخافيش يا بنتى يا حبيبتى . . الحكاية إنى مش حاقدر أعيش بقية عمرى بهيم . .

دينا : أنت بتتكلم جد . .

أحمد : شوفوا ازاى بنتى متصورة أنى بهزر . . وكلكوا بتبصولى على أنى بهزر .

دينا : يجد يجد يابابى (تبكى فى حزن وإشفاق على أبيها)

أحمد : جانيت . . قوليلهم . . قوليلهم حاجة .

جانيت : أقول لهم إيه .

أحمد : قوليلهم حاجة بالمزيكة يمكن يفهموا . . ما عندكيش مزيكة تهز المخ بدل ما تهز الوسط

جانيت : الموسيقى اللى أنت طالبها دى تعوز ألف عازف . . تعوز أوركسترا .

أحمد : أبداً . . تعوز ودان . . وهم ماعندهمش ودان . . إنما عندهم سنان .

(يستدير إليهم) إخوانى المواشى . . إخوانى البهايم . . إخوانى البقر . . كلوا . . كلوا جتكو البلا . . اطفحوا بالسم الهارى فى احتفال الخامس والأربعين من حياة رجل فاشل سافل منحط . . وتصبحوا على جنون وسفالة أكتر وأكتر .

(يخرج من قاعة الاستقبال والكل فى حالة ذهول . . أفواه فاغرة . . البعض يبتسم . . والبعض يضحك . . والبعض يخبط كفاً بكف) .

(تجرى خلفه دينا ورؤوف وسامح والدكتور توفيق والجميع .

لا يبقى إلا فؤاد والزوجة نعمت فى ركن وسط القاعة الواسعة الغارقة فى أنوار النجف الكريستال وروائح الطعام الشهية والكراسى الفارغة . . وفى ركن بعيد جانبيت أمام الأورج تعزف لحنًا رقيقًا حزينًا) .

نعمت : (هامسة) شفت ازاى أنا عايشة لوحدى . . مع إنسان مجنون .

فؤاد : (يضغط يدها) انتى عمرك ما كنتى لوحدك . . أنا كنت دايمًا جنبك يا نعمت .

نعمت : أبدًا . . امتى . . وازاى . . كل حياتى معاك كانت سرقة . . إنما بيتى . . بيتى كان دايمًا وحدة وخراب . . وهو زى ما انت شايف . . طول الوقت بيكلم نفسه . . لحظات الراحة الوحيدة هى اللى كنت باعيشها سرقة بين إيديك . .

فؤاد : كل شىء له آخر .

نعمت : أنا مش فاهمة حكايته إيه .

فؤاد : دكتور توفيق بيقول عنده تصلب شرايين .

نعمت : أبدًا . . أنا رأيى أنه راجل سافل فعلاً . . بعد ما ياخد فلوس الناس ويحطها فى جيبه ويصرفها

لآخر مليم . . يصعبوا عليه . . ويقف يكلم نفسه ويقول خطب . . كل يوم بيقتل قتيل الصبح ويمشى فى جنازته بالليل .

فؤاد : دكتور توفيق بيشك فى حالته وعمل له صورة على المخ .

نعمت : مش المخ . . ده القلب . . ومش القلب كمان . . دى النفس . . الغابة اللى جواه هى اللى عاوزه حد يصورها . . بيخوفنى . . عينيه بتخوفنى . . نظراته بتخوفنى . . ساعات بيتهيأ لى أن وراها جب مليان وحوش . . ساعات بيتهيأ لى أنى عاوزه أقتله وارتاح .

فؤاد : إنتى قتلتيه من زمان يا نعمت . . إنتى جننتيه

نعمت : أنا اللى اتجننت . . أنا اللى اتقتلت .

فؤاد : هو بيحبك بجنون .

نعمت : لما بيقوللى بحبك – بحس أن معناها بكرهك . . جسمى بيقشعر م الخوف وإيديا بتتلج لما بسمعه بيقوللى بحبك . . قلبى بيرتجف م الرعب لما بيلمسنى

(تتشبث به) ماتسبنيش يا فؤاد . . أنا محتاجة لك . .
خليك جنبى . . أنا ماليش حب غيرك . . إنت
أقرب لى من انفس اللى فى صدرى . . لو سبتنى
حاحس أن الروح سابتنى . . لو ختتنى حاحس أن
إيدى اليمين خانت إيدى الشمال .

— مستحيل يا نعمت . . انتى بتفكرى ازاى .
— أنا مش عاوزه أفكر . . لو فكرت حاتجنن زيه . .
— إيديكى بترتجف . .
— كلى بيرتجف .
— كل شىء له آخر
— نفسى أرتاح . .
— بحبك .

(صوت أحمد يأتى عاليًا جهوريًا من الداخل) .

— أنا بقول انتوا كلكوا كلاب . . كلكوا سفلة أوغاد
مجرمين . . أنا مش سكران . . أنا فايق . . انتوا
السكرانين . . أنا شايف كل شىء كويس . .
العالم اتغير . . مش ده العالم اللى اتولدت فيه . .

العالم بقى جبلاية قرود . . وكر تعابين .

نعمت : (فى همس) وإنت واحد من اللى خلوا العالم وكر تعابين .

(صوت أحمد بنفس النبرة الجهورية) .

– كهف عقارب . . مرعى للضباع والرمم .

نعمت : وإنت واحد من أكلة الرمم

فؤاد : كفاية يا نعمت . . مش معقول حانسيبه كده . . ده حايتجنن فعلاً .

(يقومان يتجهان إلى الداخل) .

(ما زالت جانيت تعزف نفس اللحن الحزين على الأورج) .
(كانت واقفة طول الوقت لا تتحرك كأنها تمثال) .
(صوت أحمد جهوريًا من الداخل) .

– سيبونى كلكم . . نفسى أقعد لوحدى . . نفسى أهرب منكم . . ومن نفسى . . أنا تعبت . . مش عاوز حد ييجى ورايا . .

(تخفت الأضواء قليلاً قليلاً . . ظلام) .

(نفس المشهد من جديد . . يبدو غارقًا فى ضوء أخضر . . وفى جانب تقف جانيت فى ضوء أحمر متوهج كوردة . . ما زالت

تعزف نفس اللحن الحزين) .

(يدخل أحمد مترنحًا) .

(يتجه إلى جانيت فى عاطفة) .

(تتحرك جانيت تجاهه) .

(لأول مرة نكتشف من حركتها ونظرتها أنها عمياء ضريرة)

(تتحسس الطريق إلى يديه) .

أحمد : جانيت . . نفسى ألاقى مكان أهرب فيه من نفسى .

جانيت : (تعثر على يديه) تعالى هنا يا أحمد . . اهرب جوايا . .

أحمد : ده مش مهرب . . ده مسكن . . ده انتى نفسى أنا . . انتى أنا . .

ده إحنا الاتنين محتاجين لمهرب . .

جانيت : ليه يا ربى دايمًا بنختار الاختيار الخطأ كل مرة . .

أحمد : بنختار اللى بيتهيأ لنا أنهم الميه والضل والراحة . .

لكن الظاهر أن مفيش بقعة ضل فى الدنيا . .

والحياة كلها صحرا بتضربها كرابيج الشمس .

جانيت : وكل واحد فينا كرباج للتانى .

أحمد : هى كرباجى . . وأنا كرباجها . . وهو كرباجنا .

جانيت : حاول تنسى الموضوع ده يا أحمد .

أحمد : فؤاد نافسنى فى السوق وهزمته وكسرته . . قام دخل على من الشباك وكسرنى فى بيتى . . كل ما أخد منه مناقصة أوعطا . . ياخد مراتى منى ليلة (يضحك ضحكة خافتة مريرة) احنا بنتسابق على إيه . . وبنتحارب على إيه . . الدنيا كلها كدبة . . وهم سراب . .

مفيش مكسب فى الدنيا يستحق ان الواحد يخسر نفسه .

جانيت : غمض عينك يا أحمد . . غمض عينيك . . حاول تنسى . . حاول تعيش فى عالم زى العالم اللى أنا بعيش فيه . . عالم مفيش فيه عيون ولا وجوه ولا ملامح . . ليل طويل . . مريح (تأخذ رأسه على صدرها فى حنان) .

أحمد : الليل بالنسبة لى كوابيس بسمع فيها هسهسة الأفاعى وفحيح التعابين . . الليل هو الشك والجنون والندم . . الليل هو الحسرات والأحقاد

والمخاوف . . الليل اعتقال وسجن ومحكمة .

جانيت : ماتعذبش نفسك يا أحمد . . كفاية اللى انت فيه . . كفاية اللى بيعملوه فيك . . ما تخلقش من عقلك جهاز تعذيب . . ما تجعلش من ضميرك جلادك . . ارحم نفسك . .

أحمد : المشكلة أكبر م اللى بيعملوه . . وأكبر م اللى بعمله . .
المشكلة بقت أكبر منى ومنهم . .

جانيت : (تضمه بذراعيها فى حنان) المشكلة هى أنت . .

أحمد : يا ريت .

جانيت : مالك يا أحمد . . جسمك كله بيرتجف . .

أحمد : انتهى كل شىء يا جانيت . . الصورة اللى عملتها على الدماغ من يومين كشفت عن ورم فى المخ . . خلاص . . كل اللى باقى م العمر أيام أو شهور

جانيت : (مفزوعة) يا ربى . . مش معقول . . مش معقول . . مش معقول (تضع رأسه على صدرها . . وتغمغم فى نبرة باكية) .

(ياحبيبى . . يا حبيبى . . يا حبيبى) .

(تخفت الأنوار . . ظلام . . يتغير المشهد) .

(غرفة الصالون الأنيقة فى بيت أحمد الشهاوى . . الزمان نهار . . الشمس تدخل من إحدى النوافذ النور يغمر الغرفة . .
الزوجة نعمت . . المستشار القانونى الأستاذ مطر . . الدكتور توفيق . . الثلاثة جلوس يتململون فى قلق وتوتر . . فؤاد يذرع الغرفة فى عصبية . . يقعد ثم يعود فيهب واقفاً) .

مطر : (لنعمت) أحمد أخباره ايه .

نعمت : نقلناه امبارح مستشفى المعادى .

مطر : وازى حالته دلوقت .

نعمت : الدكتور بيقول خطيرة .

(كلهم ينظرون إلى الدكتور توفيق)

توفيق : الحالة خطيرة فعلاً . . وبيصحى شوية وبعدين يروح فى غيبوبة . . وعنده شلل خفيف فى الذراع اليمنى والرجل اليمين .

مطر : مش ممكن إنقاذه بعملية جراحية .

توفيق : فيه جراح فى فرنسا ممكن يعمل الجراحة دى . . لكن المجازفة حاتكون كبيرة .. حايحتاج الأمر

استئصال جزء كبير من المخ . . ولو نجحت الجراحة
حايبقى بعدها واحد تانى . . جايز يرجع طفل . .
وجايز يفقد الذاكرة . . وجايز يفقد شخصيته تمامًا.

مطر : وهو رأيه إيه .

د. توفيق : هو رافض أى تدخل جراحى وبيعتبر المسألة
انتهت . . ومش عاوز حد يزوره أو يخش عليه . .
وبيقول سيبونى وحدى مع ربنا أكلمه ويكلمنى . .
أنا عمرى ما اتعرفت عليه . . وعمرى ما ركعت له
ولا صليت له . . ولا استسمحته . . دى فرصتى
الوحيدة فى أنى أحبه ويحبنى . . وأرضى بحكمه
ويرضى بعيوبى .

نعمت : وعمل إيه يا أستاذ مطر لما رحت له النهاردة عشان
الوصية .

مطر : رفض يقابلنى وقال اللى عندكو كلوه .

نعمت : وبعدين .

مطر : المشكلة أنى اكتشفت أن الشريك مزيف كل
الدفاتر ومزيف كل الحسابات ولو ما حصلش

تدخل نيابى وقضائى فى حياة أحمد حاتطلع ثروته مدينة والضرائب حاتاكلها وحاتطلعوا كلكو ملط

فؤاد : (فى تونى) والعمل إيه .

مطر : لابد من تحقيق فورى وكتابة محضر اتهام موقع عليه من أحمد قبل ما يفوت الأوان . . لابد من شهادته قدام القاضى .

نعمت : وانت مستنى إيه .

مطر : رافض يقابلنى ورافض يقابل أى حد . . وحالته تعبانة وماتسمحش بأى مساءلة . . وكل شوية تتدهور أكتر .

توفيق : بعد ساعات الموقف حايفلت من إيدينا نهائى .

فؤاد : والعمل إيه .

نعمت : لازم نعمل حاجة .

فؤاد : دينا ورؤوف لازم يروحوا له . . دول أولاده ومش معقول حايرفض يقابلهم . . لازم يروحوا ويحطوا قدامه الموقف كله .

نعمت : ما افتكرش حايقدروا يعملوا حاجة .

فؤاد : يبقى مفيش فاضل إلا حل واحد .

نعمت : إيه .

فؤاد : إنه يتشال غصب عنه فى الطيارة لباريس وتتعمل له العملية .

نعمت : إزاى حايتشال بدون إرادته .

فؤاد : لأنه فى الوضع الحالى مالوش إرادة . . لأنه معندوش المخ اللى يكون بيه رأى سليم . إيه رأيك يا دكتور . .

توفيق : فعلاً هو دلوقت ماعندوش الحاجة اللى اسمها إرادة حرة ولا المخ اللى يكون بيه رأى سليم . . لكن هل انتو متأكدين أنه حايرجع بعد العملية زى ماكان . . متأكدين إنه حايرجع أحمد الشهاوى المقاول الناجح العبقرى . . المستقبل كله علامة استفهام ، ممكن يرجع صديق . . وممكن يرجع عدو ممكن يرجع راشد زى ماكان وممكن يرجع طفل . . ممكن يفقد الذاكرة . . وممكن يفقد النطق وممكن يبقى الحصول على شهادة منه أمر

مستحيل . . وممكن يرجع مشلول ويقضى بقية
عمره على كرسى أو طريح فراش عالة على نفسه
وعليكم . . وممكن ما يرجعش خالص .

نعمت : على أى حال فيه واحد فى الألف أمل . . إنما
لو سبنا الموضوع يبقى ضعنا كلنا .

توفيق : إيه رأيك يا فؤاد .

فؤاد : أنا مش عارف أقول إيه . . ومش قادر أختار .

توفيق : إيه رأيك يا أستاذ مطر .

مطر : الحقيقة الموقف دقيق جداً . . وجميع البدائل اللى
قدامنا خطيرة . . ومن حق المريض برغم كل شىء
إنه يبقى له رأى لأن هو اللى حايرجع مشلول وهو
اللى حايرجع بعاهة . . ماحدش فينا حايجازف
بشىء . . إحنا كلنا دلوقت بنجازف بواحد تانى . .
كلنا بنختار وواحد غيرنا حايدفع ثمن الاختيار شلل
وعمى وموت وفقد للذاكرة وفقد للمستقبل .

نعمت : أبداً . . مش صحيح . . إحنا لو سكتنا حانجازف
بكل شىء . . الضرايب حاتحجز على البيت

والأرض والأسهم والسندات والشريك حا ياخد
كل شيء بالنصب والتزوير وحانطلع كلنا
شحاتين . . فيه مجازفة أشنع من كده .

فؤاد : فعلاً . . شيء فظيع . . فظيع .

مطر : إنتى حاتجازفى بفلوسك . . هو حايجازف برقبته . .
فرق كبير .

نعمت : أبداً نفس الشيء . . فلوسى هى حياتى هى قيمتى
هى بيتى هى ضيوفى هى جمالى هى رقبتى هى كل
شيء . . لو بقيت شحاته كل شيء حايتغير حتى
شكلى فى عيون الناس إنت مش عارف الدنيا
شكلها إيه . . ولا الناس شكلهم إيه . . إحنا
ف غابة .

فؤاد : صحيح . . لابد من عمل . . لابد من اختيار .

نعمت : وعدم الاختيار هو أسوأ اختيار . . والسكوت حكم
أسوأ من كل حكم مش ممكن نقعد ساكتين كده .

توفيق : (يضع رأسه بين كفيه) أنا مش قادر أفكر .

(تخفت الأنوار . . ظلام . . يتغير المشهد) .

(غرفة مستشفى ليل) .

(أحمد راقد على سرير) .

(جانيت إلى جواره) .

(مقطوعة اللحن الحزين فى الخلفية) .

(أحمد بين نوم ويقظة . . يفتح عينيه) .

أحمد : جانيت . . الدنيا بتضلم فى عينيه . . أنا مش شايف . . أنا بقيت زيك مش شايف . . تعالى . . قربى منى . . تعالى . . فين إيدك . . فعلاً الضلمة مريحة . . مافيهاش عيون ولا وجوه ولا ملامح مفيهاش أى شيء غير لمسة إيديكى . . الله . . لمسة إيديكى حلوة . . فيها الحنان والصداقة والأخوة والوفاء إللى عمرى ما عرفته . . لكن الدكتور بيقول لى إنى ممكن أفقد اللمس كمان . . وأفقد الحركة وأفقد السمع . . بيدينى مورفين دايماً . . كتر خيره . . مش حا احس بحاجة . . حاموت عضو عضو فى سكون .

أنا صليت امبارح وقلت لربنا أنا بحبك وراضى بحكمك يا رب . . وابتهلت له أنه يحبنى ويرضى

بعنوبى . . وحسيت بعد الصلاة أن نفسى شفت
أوى أوى . . وأنى اتولدت من جديد .

جانيت : (تضمه وتقبله) حبيى حبيبى . . ما تقولش كده إنت
حاتخف وحاتعيش .

أحمد : أنا مش عاوز أعيش . . مش عاوز افتح عينيه تانى
وأشوف الكذب والنفاق . . شبعت تمثيل فى الحفلة
التنكرية الكبيرة اللى اسمها الدنيا . . انتهى
الكرنفال وقلعت القناع . . مش عاوز حد يرجعنى
تانى .

جانيت : خدنى معاك طيب .

أحمد : إنتى معايا دايمًا يا جانيت .

جانيت : مش حاقدر أعيش لحظة بعدك يا أحمد .

(طرقة خفيفة على الباب) .
(يدخل الدكتور توفيق) .
(يميل على أذن أحمد) .

توفيق : دينا ورؤوف ع الباب بيعيطوا وعاوزين يشوفوك .

أحمد : دخلهم .

(تخرج جانيت والدكتور)

(تدخل دينا ورؤوف).

(دينا تلقى بنفسها فى حضن أبيها وتبكى فى حرقة):

دينا : بابى . . بابى . . مالك .

أحمد : (يتحسس وجهها) . . أنا مش شايفك . . قربى خدك منى . عشان أبوسك (يقبلها)

دينا : بابى . . بابى . . (تبكى) بعد الشر عليك ألف سلامة لك .

رؤوف : (يجلس إلى جوار أبيه . . يحتضنه) سلامتك يابابا . . سلامتك . . إن شاء الله حاتخف وحاترجع لصحتك . . إن شاء الله شدة وتزول .

أحمد : ما تعيطوش . . ده حال الدنيا . . كل شىء لازم ينتهى . . ماجراش حاجة . . كل اللى حصل أن انتهى التياترو اللى اسمه بابى أحمد . . شطب السيرك . . وبيلموا الخيام وبيشيلوا الأوتاد . . وحانعزل لبلد تانية . . لعالم تانى .

دينا : لا يمكن يابابى تسيبنا كده .

رؤوف : لا يمكن تمشي وتسيبنا . . إنت عارف أبيه مذكور عمل فينا إيه . . عارف عمل فى الحسابات والدفاتر إيه . . ده خد كل حاجة وزور كل حاجة والضرايب حاتحجز ع البيت والأرض والبنك وحانرجع فقرا .

أحمد : يمكن لو ابتديتوا فقرا يبقى أحسن من الفلوس الحرام . . ما هو كله فى الآخر ضايع زى ما انتوا شايفين ياولاد . . الحسبة فى الآخر بتفلس بشريك حرامى أو شريك أمين . . الكل بيفلس . . جسم القضية بيفلس . . لا سمع ولا بصر ولا حس ولا خبر . . جسم القضية بيبقى تراب . . يبقى تبكوا على إيه .

إذا كان الواحد فى الآخر بيصحى ما يلاقيش إيده ولا رجله ولا عينه ولا ودنه . . وفى الآخر مايلاقيش نفسه . . يبقى حايزعل يوم ما يصحى مايلاقيش حسابه أو دفاتره . . إيه دى جنب دى . . وتعرفوا منين أن الغنى أصلح لكو

م الفقر . . يمكن لو سألتنى دلوقت حاقولك
لو ابتديت فقير يمكن كان الفقر ربانى تربية أحسن .

رؤوف : إنت بتقول كده يابابا لأنك عيان . . ولو كنت
بصحتك كنت قلت كلام تانى . . وكنت رفعت
قضايا وقومت محامين وماجالكش نوم إلا لما سلمت
أبيه مدكور للنيابة وحطيته فى الحديد .

أحمد : فعلاً لك حق يابنى . . فعلاً . . أنا بقيت إنسان
تانى مريض . . وجايز رأيى بقى هو كمان رأى مريض
زيى . . جايز رأيى بقى أعمى زى عينى فعلاً . .
لكن أنا معذور . . أنا مش قادر أشوف بعنيك
ولا أسمع بودنك . . مش قادر أكون أى حد غير
نفسى . . مش قادر أكذب على نفسى وأجاملك
وأنا عارف أنها آخر كلمة حاقولها ويمكن آخر نفس
وآخر دقة قلب . . أنا القضية وأنا الموضوع . .
ومش ممكن حاقدر أخرج عن الموضوع .

رؤوف : أنا مش فاهم حاجة يابابا . . أنا مش فاهم حاجة .
كل اللى حاسس بيه إن إحنا ضعنا (يحتضنه ويبكى)

ضعنا .

أحمد : (فى استسلام) اللى تشوفوه صالح اعملوه . . أنا راضى بأى قرار يريحكوا . . انتو أولادى وأنا أبوكو إحنا شركة ومش حاقدر آخد قرار لوحدى (يضع يده على رأسه ويتأوه فى ألم) آه .

دينا : مالك يا بابى .

أحمد : دايخ . . دايخ أوى . . دخت فجأة (يتلعثم) مش . . قا . . د . . ر . . اتـ . . كلم . . (يدخل فى الغيبوبة من جديد) .

دينا : (تصرخ) بابى . . بابى . . يا دكتور توفيق . . دكتور توفيق

(تجرى على الباب وهى تصرخ)

(تعود مسرعة ومعها الدكتور توفيق)

(الدكتور يكشف عن صدره الثياب ويختبر القلب بالسماعة . . ثم يختبر ردود الفعل فى مفصل الركبة والقدم . . ينظر إلى حدقة العين . . يخرج بطارية صغيرة من جيبه ويطلق شعاعًا على حدقة العين)

(يوصل الأقطاب الكهربائية إلى جهاز رسم القلب)

(يوصل الأقطاب الكهربائية إلى جهاز رسم المخ).

(يلاحظ الأجهزة اللى جوار الفراش.. يضبط أزرارها ويتابع شاشاتها) (الشاشات التليفزيونية للقلب والمخ تعمل بانظام).

د. توفيق : الحمد لله القلب طبيعى والمخ بيشتغل .
ماتخافوش دى مجرد دوخة مؤقتة جت له قبل كده وراحت .
الورم بيضغط على أجزاء حيوية من المخ . . وفيه احتقان فى المراكز العصبية ده كل الموضوع . . لكن إن شاء الله حاتكون إغماءة مؤقتة زى كل مرة ماتخافوش . . سليمة إن شاء الله .
(لرؤوف) اضرب تليفون لماما والأستاذ مطر ييجوا حالاً .

رؤوف : حاضر يا دكتور .

(يسرع إلى التليفون فى ركن الغرفة . . يدير القرص . . مرة بعد أخرى) .

(الوجوه القلقة المتوترة والعيون الزائغة تنحنى على المريض الراقد فى غيبوبة) .

(تخفت الأنوار تدريجيًا . . ظلام . .) .

(نفس المشهد مع وجود نعمت وفؤاد والأستاذ مطر والدكتور توفيق . أحمد فى غيبوبة لا يتحرك ولا يدرى من أمر نفسه شيئًا الحضور يتداولون على مصيره) .

(توتر على كل الوجوه . . البعض يدخن . . البعض يذرع الغرفة فى عصبية) .

توفيق : الوقت بيجرى . . وكل لحظة معناها مصير .

نعمت : مصيرنا ومصيره . . الرحمة يا رب . .

توفيق : قلتوا إيه .

مطر : قرروا من غيرى . . أنا مش موجود . . أنا ما اقدرش أحتمل نتيجة قرار خطأ . . ما اقدرش أحكم على إنسان بالبؤس والشلل وأشوفه بيتعذب قدامى وأشعر أنى كنت السبب .

فؤاد : سكوتك مش حايعفيك م المسئولية . . سكوتك حايقتله .

صمتك حايبقى جلاد أخرس حايقضى عليه .

مطر : صمتى مش حايموته ولا كلامك حايحييه . . الموت والحياة بيد الله .

توفيق : ربنا ادانا عقل وسلمنا الأمانة وجعلنا مسئولين .

مطر : أنا أحكم فى اللى أفهمه . . إنما اللى ما افهموش أسلم فيه .

نعمت : إنت حاتسلم رقبتنا ورقبته .

مطر : أنا ما اعرفش . . أنا مش هنا .

نعمت : أنا أعرف . . مفيش قدامنا اختيار . . لازم ناخده فورًا ع الطيارة لباريس . . مفيش حل تانى . . إيه رأيك يا دكتور .

توفيق : أنا كلمت الجراح وبعت برقية للمستشفى فى باريس تحسبًا للظروف .

نعمت : ومستنيين إيه . . مالك ساكت يا فؤاد ؟

فؤاد : مافضلش كلام يتقال .

(تخفت الأنوار تدريجيًا . . ظلام . .)

الفصل الثانى

المشهد – ليل

(نفس غرفة الصالون فى بيت أحمد الشهاوى ولكنها تغيرت كثيرًا قطع الأثاث الستيل الفاخرة اختفت وكذلك النجف الكريستال والتحف الغالية فى الأركان والزهريات الجميلة والسجاجيد الشنوا .. اختفى كل هذا الترف وحل محله طقم عادى قديم

نعمت جالسة وقد دفنت وجهها فى يديها

يدخل الأستاذ مطر ..

لا تشعر بخطواته مازالت تدفن رأسها

وكأنما لا تريد أن تفتح عينيها أبدًا .

يقف أمامها صامتًا . فى يده مظروف .

يجلس على الكرسى بجوارها

يطول الصمت .. ثم نراه يهمس

– مدام نعمت .

ترفع رأسها وتتلفت كأنما هى قادمة من عالم آخر .

ملامحها بدت عليها الكبر وشعرها تسلل إليه الشيب مع أنه لم يمض وقت طويل على أحداث الفصل الأول) .

الأستاذ مطر: مدام نعمت .

نعمت : أيوه .

مطر : إزيك دلوقت .

نعمت : الحمد لله .

مطر : أنا جبت لك المبلغ اللى جمعناه من مبيعات المزاد امبارح . . خمسة آلاف جنيه ومية واتناشر .

نعمت : بس . . كل العفش ماجابش غير كده ؟!

مطر : أول عن آخر .

نعمت : وبعدين .

مطر : اتصرفى فيهم بعقل لغاية ماربنا يفرجها .

نعمت : حايفرجها منين . . الضرايب حجزت على البنك والعمارة والأرض والخزنة . . والحساب الختامى للشركة طلع مدين . . والدهب اللى عندى بعته . . والعفش بعته .

مطر : فؤاد مش قال حايجيب لك مبلغ .

نعمت : فؤاد اختفى مش بالاقيه . . وباسأل عليه فى التليفون بينكر نفسه . . فؤاد اللى كان أكتر من صديق وأكتر من أخ . . فؤاد اللى كان كل حاجة . . سامح خطيب بنتى اختفى . . داليا خطيبة رؤوف اختفت . . فجأة اتلفتنا لقينا روحنا لوحدنا والبيت بقى ع الحيطان . . فجأة حسيت أن سنى كبر ميت سنة وخطوتى بقت تقيله وضهرى انحنى كأنى شايله جبال . . فظيعة الدنيا . . فظيعة .

مطر : مدام نعمت . . اللى يعيش النهار لازم يعيش الليل . . احنا على أرض بتدور .

نعمت : ولإمتى حايطول الليل . . أنا تعبت .

مطر : مدام نعمت .

نعمت : مش قادرة . . مش قادرة . .

(تعود فتخفى رأسها فى كفيها . ترفع رأسها وتنظر فى شراسة) .

نعمت : والمجرم اللى اختلس كل شىء وزور كل شىء وخد الفلوس وراح باريس يصرفها ع الكباريهات والقمار . . شريك الشيطان اللى خد حياتنا وهرب

بيها . . مفيش قانون يحاسبه . . مفيش بوليس يعتقله . . مفيش حكومة تسجنه .

مطر : وحانطلب اعتقاله ازاى ومفيش أدلة ولا أوراق ولا شهود . . وصاحب الحق ما عادش دارى بنفسه ولا بينا .

نعمت : (تكلم روحها) واللى قتلنى وهرب . . الغادر الجبان .

مطر : مين ده . . يا مدام .

نعمت : أبداً . . برده مفيش أدلة ولا أوراق ولا شهود . . جريمة قتل بدون دم . . بدون بصمات .

مطر : ربنا موجود يا مدام .

نعمت : يا ترى ربنا معانا والا علينا يا على أفندى .

مطر : ربنا مع الحق يا مدام .

نعمت : كل واحد متهيأ له أنه على الحق . الحق بقَ نسخ كثيرة أوى بعدد الناس .

مطر : الحق واحد مفيش غيره يا مدام .

نعمت : إنت مؤمن يا على أفندى .

مطر : ونعم بالله يا هانم .

نعمت : طيب ليه الدنيا فوضى . . ليه كلها عذاب .

مطر : هى فوضى بسببنا إحنا . . تصريفنا لدنيانا هو اللى سبب كل الفوضى والعذاب .. ربنا بيحب الكل . . لكن الإنسان هو اللى عدو نفسه . .

نعمت : وليه الإنسان عدو نفسه . . ليه .

مطر : ده سؤال كل واحد يسأله لروحه يا مدام . . ده سؤال عليه أربعة آلاف مليون جواب بعدد سكان العالم .

نعمت : كل يوم بسأله لنفسى ألف مرة . . كل ساعة . . كل دقيقة . . كل لحظة . . لما دماغى انفجرت . . مش لاقيه جواب .

مطر : العمر كله جواب . . أفعالنا كل لحظة جواب .

نعمت : يعنى إيه . . قصدك إيه . . بتتهمنى يا على .

مطر : أنا مش باتهمك يا هانم .

نعمت : أنا عارفه . . كل الناس بتتهمنى . . كل العيون بتتهمنى . . كل واحد بيشتمنى من ورا ضهرى . . حتى الساكت سكوته بيتهمنى . . كل واحد بيقول

نعمت هى اللى عملت فيه كل ده . . نعمت هى اللى قضت عليه . . نعمت هى اللى خربت حياته . . نعمت هى اللى هدمت مستقبله . . مفيش حد بيسأل نفسه . . وهو . . هو عمل فى نعمت إيه .

يمكن أنا اتجننت صحيح . . لكن هو اللى جننى . . هو اللى جننى .

مطر : ده كلام مالوش لازمه دلوقت يا مدام . . ما عادش ينفع . . ماتعذبيش روحك . . اللى حصل حصل . . وسهم ربنا نفد . . مافضلش لنا إلا أننا نقبل الحكم .

نعمت : مش قادرة ياعلى . . مش قادرة . . الزلزال اللى حصل أكبر من عقلى . . أكبر من قدرتى . . . . الحوادث سبقتنى .

الليل هجم على فى عز الضهر .

والشيخوخة دفنتى فى عز الشباب .

(تتكوم فى كرسيها وتدفن رأسها فى كفيها من جديد وتنخرط فى

البكاء) .
(يطول الصمت)
(لا يجد الأستاذ مطر ما يقوله . . يضع ظرف الأوراق المالية أمامها على الطقطوقة . . ثم ينصرف فى هدوء) .
(ترفع نعمت عينيها . . تتلفت حولها فى نظرات كليلة) .

نعمت : (هامسة لنفسها فى دهشة) مش معقول . . مش قادرة أصدق (تهب من جلوسها . . تتجول فى الغرفة بعينيها) . . ده بيت أحمد بك الشهاوى . . ده صالون نعمت . . ؟ ! ! التليفون ساكت زى الموميا . . اللى كان بيرن كل خمس دقايق اللى كان بيكلمنى كل شوية زى المجنون . . ويقوللى واحشانى بحبك حاموت عليكى . . بقالى خمس دقايق ماشفتكيش . . دلوقت أطلبه ألاقيه شايل السماعة . . فؤاد . . اللى حبيته حب العبادة وضيعت فيه حياتى وعمرى دلوقت بينكر نفسه وينكرنى . . أجيب منين العقل . . ماعادش فيه معنى لأى شىء . . كل شىء بقى ضلمه . . كل حياتى بقت ضلمه . . بقت خراب .

انفض السامر وماتت الضحكات . . وانطوى كل
شيء كأنه وهم . . كأنه خيال كأنه حلم .
وأنا بقيت مش أنا . . وهو مش هو . . وهم مش
هم .
فين الحقيقة من ده كله (تتجول فى الغرفة كأنها تمشى فى
نومها) . . أنا مين أنا نعمت اللى كانت . . والا
نعمت اللى بقت . وهو مين . . هو فؤاد القاسى
الغادر اللامبالى . . والا فؤاد العاشق الحنون . .
كان كذب كل اللى كنا فيه . . كان تمثيل .
مش معقول .
مش قادرة أصدق (تتسمر فى مكانها واقفة) .
مش قادرة أصدق .
لأه . .
مش ممكن .
لازم قطعوا لى حته من مخى زى ما عملوا لأحمد .
لازم خدرونى وخدونى لباريس وعملوا لى جراحة
غصب عنى . . ورجعت واحدة تانية .

نعمت : (تصرخ . .) توفيق . . دكتور توفيق . . دكتور توفيق .

(يدخل دكتور توفيق مسرعًا)

توفيق : إيه مالك يا نعمت .

نعمت : الحقنى . . أرجوك كلمنى بصراحة . . أرجوك ماتكدبش عليه . . (فى عصبية) احلف لى . . مين اللى خدتوه باريس وعملتوا له العملية . . (تصرخ) هو والّا أنا .

توفيق : إيه يا نعمت . . انتى جرى لعقلك حاجة مش إحنا مسافرين سوا . . وانتى واخده سرير مرافق فى المستشفى . . وانتى اللى مدخلاه أودة العمليات بإيدك .

نعمت : (تتلفت حولها بعينين زائغتين) أنا اللى دخلته أودة العمليات صحيح . . لكن بعد كده حصل إيه . . مين اللى أدوله الحقنة المخدرة ومددوه على تربيزة العمليات . . ومين اللى (ينظر إليها كالمشدوه . . تهزه فى عنف) انطق . . قوللى ع الحقيقة .

توفيق : جرى إيه يا نعمت . . مش معقول الأمور حاتتقلب فى دماغك للدرجة دى .

نعمت : ومش معقول كمان الدنيا كلها تتغير فى لحظات وأنا أبقى مش أنا والدنيا تبقى غير الدنيا . . مش قادرة أصدق . . مش قادرة أصدق عينيه يا توفيق . . أنا حاتجنن . . حاتجنن . . (تنهار باكية) مش قادرة أتحمل . . بقالى أيام ودانى بتشحت كلمة . . بتشحت سؤال .. بتشحت همسة .. مش معقول تموت العِشرة وتنتهى المودة ويتغير الناس . مش معقول كل ده يحصل مرة واحدة . . فى غمضة عين . . العالم يبقى غير العالم والدنيا تبقى غير الدنيا والبيت غير البيت . . وأنا اللى كنت الغندورة الحبوبة اللى بيجرى وراها كل الناس ويقصدها كل الناس . . أبقى الإنسانة المكروهة اللى بيهرب منها كل الناس وينكرها كل الناس .

توفيق : بتستغربى ليه . . مش هو ده رأيك . . مش إنتى إللى قلتى . . ما اقدرشى أجازف بفلوسى . . فلوسى

هى قيمتى . . فلوسى هى جمالى . . مش ده كلامك .

نعمت : فعلاً . . كنت بقول كده .

توفيق : وراحت فلوسك وراح معاها جمالك وقيمتك . . . وانفض الناس . . مستغربة ليه .

نعمت : لأنه كان كلام . . والكلام سهل . . إحنا بنغنى أغانى الهجر كل يوم . . لكن إللى عاش الهجر يعرف إنه شيء تانى . . فرق كبير بين كلمة الفقر وطعم الفقر . : بين سيرة الغدر وطعم الغدر . . إحنا كنا بنتكلم يا توفيق . . كان كلام . . كانت حياتنا كلها كلام .

توفيق : صحيح . . كانت حياتنا كلها كلام .

نعمت : وحبنا كلام . . وأخلاقنا كلام . . وأشواقنا كلام . ياما نفسى أرجع لِوَرَا وأعيش الماضى من تانى . . أعيشه بجد . . أعيشه بصدق .

توفيق : كنتى حاتعملى إيه .

نعمت : كنت حابقى واحدة تانية يا توفيق .

توفيق : ما أظننش .

نعمت : كنت حا انكره قبل ما ينكرنى . . كنت حاطرده واحتقره . . كنت حادوسه زى الحشرة .

توفيق : ما أظننش .

نعمت : ليه بتقول كده .

توفيق : لأن الوعى ده ما جالكيش إلا دلوقتى . . لما عشت الفقر واتعريتى من كل شىء . . ولو رجعتى نعمت المليونيرة . . حاينزل على عنيكى حجاب الغنى من جديد . . وحاترجعى نعمت الغندورة المغرورة بنت الهوى .

نعمت : أنا اتعلمت .

توفيق : ما افتكرش . . انتى افتقرتى بس . . لكن ما اتعلمتيش .

نعمت : إنت بقيت قاسى زيهم كلهم .

توفيق : مش عاوزك تتخدعى فى روحك تانى . . كفاية مرة .

نعمت : أنا ما اتخدعتش فى روحى . . أنا اتخدعت فيكم

وفيه .

توفيق : كلنا اتخدعنا ف بعض واتخدعنا فى روحنا . . الجو كله كان جو الغرور واللهو وتقضية الوقت . . كلنا كنا بنلعب .

نعمت : والحرقة اللى ف قلبى دى كلها لعب .

توفيق : أيوه حرقة اللى خسر اللعب .

نعمت : لا أبدًا . . حرقة إللى صحى على الغش .

توفيق : غش مين لمين . . هو كان بيغشك . . وإنتى كنتى بتغشى جوزك . . وجوزك كان بيغش الناس . . . وشريكه كان بيغشه . . كل واحد كان بيسرق من جيب التانى . . مش إحنا إللى نتكلم عن الغش يا مدام نعمت .

نعمت : ما دام الكل حرامية . . ليه أنا وحدى أدفع الثمن .

توفيق : الكل حايدفع . . إللى هرب النهاردة حايقع بكره . . كل واحد له يومه . . وإللى حايهرب من حساب الدنيا حايقع فى حساب الآخرة .

نعمت : هو فيه آخرة كمـان بعد كل ده .

توفيق : إللى إحنا فيه دلوقت إنذار بالآخرة . . اللى إنتى فيه يوم قيامة صغير .

نعمت : إنت حاتخوفنى . مش كفاية إللى شفته .

توفيق : ياريتك تخافى . . إللى بيخاف بيسلم . . لو خفتى ما كنتيش عملتى إللى عملتيه ولو هو خاف ما كانش عمل إللى عمله . . ولو إللى سرق خاف ما كانش عمره سرق .

نعمت : إنت بتخاف يا دكتور توفيق .

توفيق : صدقينى يا مدام . . أنا لما بشوف وشه دلوقت بتلج من الرعب . . أحمد بيه الشهاوى صاحب الحيلة والحرفة والدهاء وصاحب المال العريض وصاحب الاسم إللى زى الطبل . . أشوفه دلوقتى بيعمل كابينيه على نفسه . . راح فين النجاح والمجد . . راحت فين العبقرية . . راح فين الغنى . . إيه الضمان بعد كده لبقاء أى شىء .

منين أجيب الشجاعة بعد كده عشان أغش أو أخون أو أسرق .

نعمت : أنا باحسدك .

توفيق : ليه .

نعمت : (فى غل) عشان أنا عاوزه أقتل . . عاوزه أنتقم . . عاوزه أدمر . . جوايا نار قايدة . . جوايا تار . . عاوزه أطفى النار وأشفى الغليل .

توفيق : النار لا يمكن حاتطفيها النار .

نعمت : مش قادرة أنساه . . مش قادرة .

توفيق : النار حاتاكل فى حطبك وحاتشتعل أكتر .

نعمت : غدره وخيانته جننونى . . جرعونى الهوان .

توفيق : ده مش حب له ده حب لنفسك ، إنتى دلوقتى غضبانة لنفسك مش عليه . . إنتى عمرك ما حبتيه ولا حبيتى حد . . إنتى حبيتى نفسك وسلطانك على الرجال .

نعمت : نفسى ألاقى ترياق للهوان .

توفيق : ملايين الأرض مش حاتحل لك مشاكلك . . إنتى عذابك جواكى .

نعمت : أنا أخدت أكبر درس .

توفيق : ومااانتفعتيش بأى درس . . إنتى لسه بتطلعى من أنانية لأنانية . . ومن غرور لغرور . . ومن شهوة أكّالة لحقد أكّال . . إنتى لسه فى مكانك . . محلك سر .

نعمت : نفسى ألاقى ترياق للهوان .

توفيق : إنتى نفسك الداء .

نعمت : نفسى ألاقى ترياق للهوان .

توفيق : إنتى مش بتسمعينى . . إنتى مش سامعه أى حاجة غير صوت نفسك وصوت غلك . . إنتى عميتى عن كل شىء .

نعمت : (تحملق فيه . . تنظر من خلاله كأنها لا تراه) نفسى ألاقى ترياق للهوان .

(ينظر إليها فى يأس وحيرة ويشعر أنه كان يتكلم طول الوقت وحده . . وأنها قد انغلقت على نفسها تمامًا) .

(يستدير ببطء نحو الباب ويتسلل فى هدوء) .

(لا تشعر بانصرافه) .

(ما زالت تغمغم لنفسها وتكز على أسنانها) .

نفسى ألاقى ترياق للهوان .

(تنهار فى كرسيها . . تخفى وجهها فى كفيها ، تخفت الإضاءة على المسرح) .

(يدخل أحمد الشهاوى . . ثيابه مهوشه . . خطوته وهيئته طفولية ساذجة . . ونظراته خالية الذهن والمعنى ، فى إحدى يديه قصرية . . وفى الأخرى لوح اردواز . . نراه فى داخل دائرة من الضوء تتحرك معه وباقى المسرح مظلم . . ونسمعه يردد كما يردد الأطفال) .

أحمد : زَ فتحة زَ . . ر فتحة رَ . . عَ فتحة عَ . . زرع . . كَ فتحة كَ . . تَ فتحة تَ . . بَ فتحة بَ كتب . . أَ فتحة أ . . كَ فتحة كَ . . لَ فتحة لَ أكل . . ضَ فتحة ضَ . . رَ فتحة ر . . بَ فتحة بَ ضرب .

(نعمت ترفع وجهها وتنظر إليه . . هى الأخرى فى هالة من الضوء الخافت ، أحمد يتجه إلى ركن الغرفة ويقف أمام الشماعة . . يضع القصرية ولوح الإردواز على الأرض يفتش فى جيوب المعاطف والثياب . يدس يده متلصصًا فى جيب معطف من الفراء لنعمت . . ثم يلتقط حافظة نقود) .

نعمت : (تمسح عينيها وهى تتابع المشهد فى ذهول) تانى . . حاترجع تحط إيدك فى جيوب الناس . . حاتبتدى تانى من أ ب تكرر كل إللى فات .

(أحمد يلتقط أوراق البنكنوت ويدسها فى ثيابه فى تلصص) .

نعمت : اتولدت من تانى يا أحمد وحاترجع تعمل كل اللى
عملته من جديد . . إنت هو إنت

(أحمد يتفحص أوراق البنكنوت فى شبق ساذج) .

نعمت : (فى مرارة) وأنا هى أنا زى ما بيقول توفيق .
لو رجعت تانى للغنى حارجع أعمل كل اللى
عملته . . حارجع بنت الهوى .

(أحمد ما زال يفرغ كل الجيوب فى جيوبه)

نعمت : صحيح . . لو اتولدت ألف مرة حاجبه مش حاقدر
أنساه . . أنا أدمنته . . أدمنت الغلط . . وأنت كمان
أدمنت الغلط . . إحنا مجرمين بالأصالة ياأحمد .
ما كانتش صدفة إن إحنا وقعنا على بعض .
اللعنات بتنادى على بعضها م الأزل
من الأزل . . من الزمن القديم قبل ما نتولد . .
وإحنا بنادى على بعض . . شىء مرعب مرعب .

(أحمد ما زال يتجول فى الغرفة ويسرق كل شىء) .

(يتحول لون المسرح إلى الأحمر الخافت ، ثم إلى الأحمر

الشديد ، ثم إلى الأحمر النارى المتأجج ، يلتفت كل منهما للآخر . . يتحركان نحو بعضهما حركة سابحة كأنهما فى حلم أوكابوس نظراتهما شيطانية . . أذرعهما ممدودة) .

نعمت : (فى غل) تعال أعذبك وتعذبنى . . إحنا فى الجحيم . . من زمان فى الجحيم . . بنطلع من جحيم نخش فى جحيم وبعدين نطلع تانى من جحيم نخش فى جحيم .

باقتلك وتقتلنى . . لو خلدت ألف حياة غير حياتك حا اقتلك كل مرة وتقتلنى لأن إحنا الاتنين قتالين قتلا . . أخيرًا بدأت أفهم .

(يتشابكان كأخطبوطين فى نار حمراء . . يخنق كل منهما الآخر . . . ويتحشرجان)

(حشرجات الموت)

(تخفت الأنوار) . .

(ظلام الختام) . .

الرُجل

(قصة قصيرة)

العيد . . مدينة الملاهى . . بالونات ملونة تتشابك فوق الرءوس . . الأطفال فى ملابسهم الجديدة كباقات الورد . . صوت البمب والزمامير مع أزيز العجلة الكبيرة الدوارة وهى تعلو بركابها ثم تهوى دفعة واحدة فترتفع الصرخات والضحكات ويتشبث كل راكب بالآخر فى خوف . . أفواج أخرى تنتظر دورها لتركب الخيول الخشبية . . صوت البنادق فى ألعاب الحظ . . الأراجيح . . الساحر الذى يقطع المرأة نصفين ثم يعيدها كما كانت . . الموتوسيكل الذى يمشى على الحائط . . المنوم المغناطيسى الذى يقول لك كم قرش فى يدك . . قوارب البط فى البركة السحرية . . الفيل القطن الذى يرقص الباليه ويقف على رجل واحدة ويمد يده ليأخذ البقشيش . . صينية الكشرى يتسابق حولها الأكالة . . ضحكات وفرقعات فى كل مكان . . وطفل يبكى يمد يده إلى شىء وأمه تنهره . . فيعود يمد يده مشيرًا إلى الباب . . حيث يدخل رجل عليه مهابة . .

تتلفت العيون فى استطلاع . . لا شىء غير عادى فى الرجل . . ولكنه مع ذلك يستوقف العين . . يمشى بخطوة ثابتة نحو إحدى الأراجيح ويزجر الأطفال ويطردهم منها . . وما تكاد تمر لحظات حتى ينقطع حبل الأرجوحة وتسقط على الأرض محدثة دويًا شديدًا . . ولكن حمدًا لله لم يصب أحد . .

يذهب الرجل إلى صينية الكشرى التى يتجمع حولها الأطفال فيدلقها ويقلبها على الأرض ويدلق الأطباق من يد الأطفال . . تبدو الآنية مغطاة بالجنزار الأخضر ويقبل مفتشو الصحة فيأخذون الآنية والأطباق فى أحراز ويعتقلون البائع الذى يبيع طعامًا مسمومًا . . يغمى على أحد الأطفال . . فيمسح الرجل على رأسه فيشفى . . يقف بين اللاعبين فى لعبة الحظ ويساهم فى كل الألعاب فيكسبها جميعًا ولكنه يرفض أن يأخذ مكافآته يصوب البندقية نحو البطات الورقية السابحة فيصيبها جميعًا ولكنه يرفض أن يأخذ جوائزه وإنما يقول فى هدوء دعونى أختار جوائزى ثم يصوب البنادق نحو زجاجات الخمر الثمينة على الأرفف فيحطمها جميعًا ويمضى دون كلمة تلاحقه نظرات الدهشة والأفواه الفاغرة والألسن التى عقدها الخرس . . وكلها

تتساءل . . من يكون . .من يكون ذلك الرجل . من يكون صاحب هذا الوجه المهيب . .

يتجه فى خطوة ثابتة نحو المنوم المغنطيسى فيقتله بضربة واحدة ويرفس بضاعته فتتناثر على الأرض بضع لفافات من الأفيون والهيروين والكوكايين . . يخلع عن وجه القتيل قناعه فيهتف ضابط البوليس وهو ينظر فى وجه القتيل . . إنه كارلوس . .إنه كارلوس اللعين الذى دوخنا ويهتف صوت آخر . عليه مائة وعشرين سنة أحكام سجن . . لقد هرب أخيرًا . . لن يستطيع أحد تسليمه للقضاء . . فيجيب الرجل : بل قد ذهب أخيرًا إلى حيث لا مهرب .

وصرخ صوت أجش من خلفه . . النجدة . . النجدة . . البوليس – حافظة نقودى بها ألف جنيه . . لقد نشلونى . . لقد نشلونى . . النجدة . . النجدة . . وصرخت امرأة مولولة . . أسورتى الذهبية . . وصرخت أخرى . . ساعتى . . وصرخت ثالثة . . خاتمى . . وصرخت رابعة حقيبة يدى . .

وتلفت الرجل فى الوجوه خلفه وجذب بائع اليانصيب من

قميصه وأخرج المسروقات من المخلاة التى يضعها على كتفه وألقى بها إلى أصحابها وسلمه للبوليس .

وانتشر خبر الرجل الذى يصنع المعجزات . . والذى يستطيع أن يفعل أى شىء . . وقال صاحب مدينة الملاهى . . إنه يعمل عندى . . ونظر مسرورًا إلى التزاحم على الشباك وإلى التذاكر التى تضاعف بيعها عدة مرات وشعر بالسعادة لأنه أحسن استغلال الموقف وعاد يهتف . . إنه يعمل عندى . . إنه يعمل عندى . . إنه نمرة إيطالية . . فإذا بيد طويلة تمتد من داخل مدينة الملاهى وتنتزعه من على الباب وتلقى به فى بحيرة البط وصوت الرجل يجاوبه . . بل أنت الذى تعمل عندى . . أنت نمرة الليلة . .

وراح الرجل يسبح فى الماء وهو يلهث وأخرج رأسه المبتلة بالماء فامتدت اليد الطويلة لتغط الرأس فى البحيرة .

وجاء صوت الرجل . . ألم تقتل أدريانو البهلوان وتأخذ زوجته . . ألم تكن تناصف كارلوس أرباحه من المخدرات . . قال صاحب مدينة الملاهى وهو يلهث اختناقا . . نعم . . فدفع

بالرأس تحت الماء حتى كفت الأرجل عن الارتعاش ولفظ الجسد أنفاسه . . وقال : فذلك جزاؤك .

وانعقدت الألسن من الدهشة وبهتت الوجوه من الذهول وفكر كل واحد فيما فعل وفيما يفعل من موبقات وخطايا وولى الكثيرون الأدبار خوفًا من الفضيحة . . وأطلق آخرون سيقانهم للريح خوفًا من الانكشاف والعقاب . . ونسيت الأمهات الخائنات أطفالهن وأسرعن بالهرب . . وترك الأزواج الزناة أولادهم وهربوا . . واختفى السكيرون والقتلة واللصوص والمرتشون . . وخلت المدينة إلا من أطفال رضع . . حتى جنود البوليس استقلوا عرباتهم وهربوا . . ولم يبق إلا رجل يبكى تحت شجرة . . وامرأة تنتحب وفى يدها عقد فل .

قال الباكى يشكو حظه حينما علم بأمر صانع المعجزات : إنى أحب وأتعذب فهل أجد عندك مخرجًا ؟

وقالت المرأة : أنا أحب وأتعذب . . فهل أجد عندك حلاً ؟ قال الرجل فى أسف . . فتلك هى المملكة التى حرمها على ربى . . لا أستطيع أن أدخلها . . تلك مملكة القلب . . فقد أراد الله الإنسان حرًا فيما يحب ويكره . . لا قهر لأحد على

قلبه . . ولا يستطيع سلطان أن يلوى قلبه على غير ما يريد فتلك هى الأمانة التى حملها الله للإنسان . .وهى مناط الحساب ومنطقة المساءلة . . اعذرونى . . هذا أمر لا حيلة لى فيه . . أنتما وشأنكما .

واختفى الرجل . .

وعاد الاثنان يبكيان . .

البَرزخ

(قصة قصيرة)

ألقى الرجل نظرة خاطفة على ساعة يده . . وانفلتت منه شهقة ذهول :

هل هذا ممكن . . عشر ساعات مرت بهذه السرعة وهو جالس محملق فى لا شيء . . انقضى النهار فى سرحة شاردة . . أم أن عقارب الساعة أصابها تلف وانفلتت من ضوابطها وراحت تهرول فى رقصة مجنونة عبر الميناء .

ولكن العقارب تشير إلى وقت الغروب . . وها هى ذى الشمس تغرب بالفعل . . وهذا أذان الغروب يأتى مع النسمات الواهنة . .

هل أفلتت الشمس هى أيضا من فلكها وراحت تهوى إلى الأفق بسرعة مجنونة . . أم أن الأرض انطلقت من لجامها وراحت تدور حول نفسها بسرعات مضاعفة كمجذوب يدور فى حلقة زار .

إنه يذكر أنه ألقى رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه مجرد

إغماضة ، واسترخى فى جلسته ، وأخذ نفسًا طويلا من سيجارته . . وراح ينفثه فى هدوء ، وكانت الساعة الثامنة صباحًا بعد فطور دسم . . ثم فتح عينيه .

فتح عينيه ، فإذا شمس تغرب ، وظلام يزحف ونسمة باردة تدغدغ الأطراف . . ولكن طعم شاى الفطور مازال فى فمه . . وكوب الشاى مازال مليئًا إلى منتصفه . . والشاى مازال ساخنا . .

يا إلهى . . هل هذا يعقل ؟ !

هل هذا ممكن . . . ؟ !

أن يضاعف الزمن من سرعته فجأة !

وأن يهرول العمر فى إيقاعاته فيطوى النهار والليل فى لحظات .

وتحسس وجهه . .

وارتجفت أنامله .

لقد طال شعر ذقنه بالفعل ، برغم أنه يذكر أنه حلقه مع الفطور .

هكذا فى لحظة . .

وحانت منه التفاتة إلى الساعة فوجدها منتصف الليل .

لقد هرولت العقارب فى هذه الثوانى القليلة فابتلعت الليل .

وغطى عينيه من الرعب . .

وحينما كشفهما كانت الشمس تغمر الشرفة ، هكذا فى لحظات .

انطوى النهار وانقضى الليل وبزغ الفجر وأقبل ضحى يوم جديد . . كل هذا توالى فى لحظات وقفز من الكرسى فى ذعر وراح يتجول فى الغرف .

هل هو مجنون ؟ !

هل اختل جهازه العصبى فجأة ، فأصبح يرى أشياء لا وجود لها .

ولكن نبات البنفسج فى أصيص النافذة أخرج زهرًا . . فى هذه الساعات القليلة أخرج زهرًا ، إن مساحة اليوم كما كان يعرفه فى الماضى أصبحت تحتوى على أحداث شهور . . وأصبحت الأم تحمل وتلد فى يوم . . والجنين يصل إلى البلوغ فى أسبوعين . . ويبلغ الرشد فى شهر وتدركه الشيخوخة فى شهرين ، ويبلغ أرذل العمر قبل عام .

وخرج يجرى كالمخبول فى الشارع .

لاحظ أن كل الناس قصار كالأقزام . . وأن البيوت والعمارات والبنايات والمساجد والمآذن صغيرة . . وكأن ما يرى أشبه بماكيت معمارى لمدينة خيالية من علب الكرتون .

ومسح على نظارته .

ثم ألقى بها بعيدا فى ذعر .

لا . . ليست النظارة . .

إن ما يراه حقيقة لا مراء فيها .

وهذه شوارع القاهرة . .

وهذه فنادقها . .

وهذا نيلها . .

ولكن ما للشوارع رفيعة . . وما للنيل ضيق وصغير ورفيع . .

وما للفنادق وكأنما هى نماذج فنادق صغيرة .

وما للناس كحشود النمل الصغير وكأنه يراهم من طائرة .

وهل هو أيضًا صغير مثلهم ؟ !

وقف أمام محل للمرايا ونظر فى مرآة بطول الباب . . ولكنه

لم ير له وجهًا ولا جسمًا . . ولم ير له انعكاسًا فى زجاج المرآة .
اندفع إلى العمال يسألهم ولكنه لاحظ أنهم لا يرونه ولا يسمعونه .

وأدرك الحقيقة الهائلة فجأة . . .

إنه لم يعد موجودًا بالنسبة لهذا العالم !

إنه الآن فى عالم آخر، له قوانين أخرى . . وإيقاع زمنى مختلف . . اليوم فيه بسنة . . وهو من مكانه فى هذا العالم يرى الدنيا ويتابعها ويسمعها ويشهدها ، ولكن كما لو كانت نموذجًا مصغرًا من بعيد . . يتعاقب فيه الليل والنهار بسرعة . .

وسكان هذه الدنيا لا يرونه ولا يسمعونه . . ولكنه يراهم ويسمعهم .

أسرع كالمجنون إلى بيته فوجد زوجته التى كان يخونها تخونه فى فراشه مع أحد خدمه . .

اندفع فى هياج مجنون يضرب الجسمين العاريين بقبضتيه . فجاوبته ضحكات خليعة من المرأة ومزاح ماجن من عشيقها . . ولاحظ أن يديه تنفذان فى اللحم دون أن يشعر بهما وكأنهما يدان شبحيتان . . صرخ . . لم يلتفتا إليه ولم يسمعاه . . واستغرقا فى

ما هم فيه من مجون فاجر . . وتجمد فى مكانه من المهانة والألم . . ثم خلع قدميه وانسحب من هول المنظر .

أسرع إلى أولاده الذين سرق وارتشى واختلس من أجلهم فوجدهم يلعنونه ويشتمونه ويذكرونه فى سخرية .

ذهب إلى المرأة التى عبدها حبًّا طول عمره ، فسمعها بأذنيه وهى تميل بشعرها على رفيقها الجالس إلى جوارها فى العربة البويك الجديدة ، العربة التى أهداها لها منذ أيام ودفع ثمنها من دمه .

سمعها بأذنيه تقول عنه لرفيقها :

— كنت أكرهه . . وأشمئز من رائحة فمه الكريهة . . كان شيئًا كالكابوس فى حياتى . . لكم اِسترحت بموته .

إذن فهو قد مات . .

وهو الآن ميت . .

أو هو حى الحياة الأخرى فى البرزخ . . حيث يرى ويسمع ولا يراه أحد ولا يسمعه . . وحيث يشاهد أعماله ويعاشر ذنوبه حتى تقوم الساعة .

وسمعها تقول وهى تتنفس فى ارتياح :

– لم أكن أتصور أن يقتله السم بهذه السرعة !

إذن فقد قتلته أيضًا . . وبالسم !

وضعت له السم فى كوب الشاى الذى شربه على الفطور . .
آخر ما شرب فى الدنيا . . ومازال الكوب ملآنا لمنتصفه ودافئًا .

وقد أدركته شبه إغماءة وألقى رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه وأسلم الروح . . ثم فتح عينيه على هذه الحياة البرزخية العجيبة حيث يتابع بسمعه وبصره كل شىء . . وحيث تتعاقب المشاهد على عينيه وكأنها وخزات من نار .

وسمعها تقول وهى تلف خصلات شعرها حول عنق الشاب الأنيق :

أخيرًا . . استرحنا من هذا الخنزير .

أخيرًا ياحبيبى أصبحت لك .

ما أجملك . . .

وكانت الكلمات تخترق صدره كأسياخ من الحديد المحمى .

وكان يتلوى ويصرخ . . ولا أحد يسمعه .

وأدرك أنه مقبل على عذاب لا ينتهى .

وتكوم فى قبره وأخفى رأسه بين رجليه ودفن نفسه فى التراب

وتمنى من فرط الندم لو أصبح ترابًا من تراب .

ولكن فى أعماق التراب كان يسمع ويرى أعماله . . وكانت الكلمات تنخس أذنيه .

أخيرًا استرحنا من هذا الخنزير .

لكم كان رجلاً دنيئًا .

أخيرًا ياحبيبى أصبحت لك . .

انزاح الكابوس من حياتنا إلى الأبد .

ولكن الكلمات كانت تنخس أذنيه .

دفن أذنيه فى التراب أكثر فأكثر . .

ولكن لا خلاص .

صدر للمؤلف

٤٥- لماذا رفضت الماركسية
٤٦- نقطة الغليان
٤٧- عصر القرود
٤٨- القرآن كائن حَيّ
٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامى
٥٠- نار تحت الرماد
٥١- المسيخ الدجال
٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
٥٨- وبدأ العد المتنازلى
٥٩ - حقيقة البهائية
٦٠- السؤال الحائر
٦١- سقوط اليسار

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

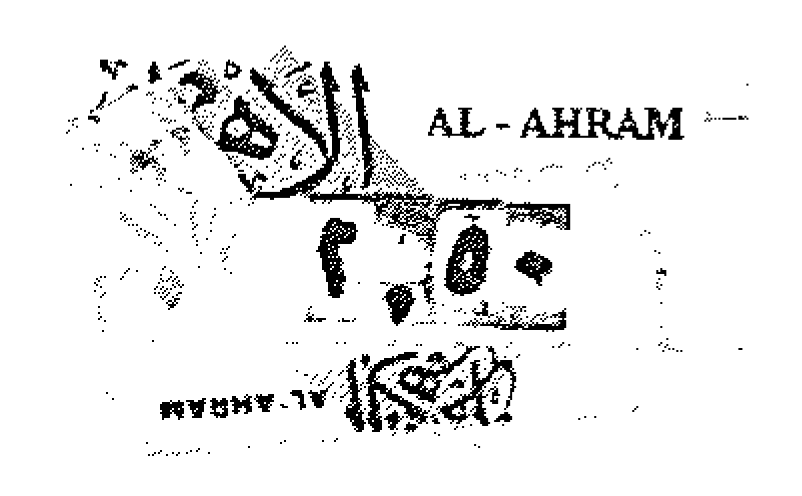
قصص مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
مسرحيات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع		١٩٩٠ / ٥٢٢٤
الترقيم الدولى	977-02-3017-0	ISBN

١ / ٩٠ / ٨٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطرق أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.